

فى نكسة ١٩٦٧م

الشاذلى. ىنح فى ءماىة ءواته من العءو

مع

ءلول مارس ١٩٦٧م بءأت إسرائىل ءءشء قوات عسكرىة بالقرب من ءءوء سورىا، وبالبرعم من أن ءءهءء ءء لسورىا ولىس مصر، فإن القىاءات السىاسىة والعسكرىة فى مصر أسرعء باءءا ءرار الحرب ضء إسرائىل ءماىة لسورىا فى وءء كان من الصعب على ءىش المصرى أن ىءارب على ءبءهءىن فى وءء واءء، إءءاهما فى الىمن والأءرى فى مصر لواءهة إسرائىل العءو الشرس الءى ىءءا ء لواءهءه إلى اسءءءاءء ءبىرة ووءء ءاف، ولءا لم ىكن ءءصءء لءرب ١٩٦٧ مءروسا ءراسة ءافىة. وبالرعم من أن عبءالناصر كان ىءمع برؤىة اسءراءىءىة شاملة ءشمل العوامل السىاسىة والعسكرىة بءل ءوانبها، فإن الصراع الءفى الءى كان ىءور بىن السلءة السىاسىة لعبءالناصر و بىن عبءالءكىم عامر ءسلءة عسكرىة على قءة قىاءاء القواء المملءة كان ىؤءر بشءل ءبىر على القراءاء السىاسىة فى ذاك الوءء ءءى كان القراء المءرع بءءول الحرب، وللأسف لم ءءرك السلءة فى مصر ءءأها فى اءءا ءرار الحرب إلا بعء فواء الأوان. وءاء فى الءءء المسءل للقرىق «الشاذلى» عن حرب ١٩٦٧م:

إنه تلقى الأوامر بحشد القوات للاستعداد للحرب وتم دفع قواتنا إلى سيناء لتتمركز قوات «الشاذلي» في المنطقة الشمالية من سيناء، ثم تلقى بعد ذلك بأيام أوامر بالانتقال إلى الجنوب، وبعدها بأيام أخرى أوامر جديدة بتغيير موقعه إلى موقع جديد، وبين كل موقع وآخر عشرات وأحيانا مئات الكيلومترات كان يقطعها «الشاذلي» بقواته في صحراء سيناء ذهابا وإيابا عدة مرات؛ مما أدى إلى إهدار كبير للقوات والمعدات والوقود، وشعر اللواء «الشاذلي» وقتها بمدى التخبط في قرارات القيادة التي كان يتلقى منها الأوامر، بعدها صدر القرار بتشكيل مجموعات للعمليات الخاصة، وكانت إحداها تحت قيادة اللواء «الشاذلي» وأطلق عليها (مجموعة الشاذلي) وكان قائده في سيناء هو الفريق صلاح محسن، وتمركزت مجموعة «الشاذلي» في خط المواجهة الأول مع العدو على مسافة ٢٠ كم من الحدود الدولية مع فلسطين وذلك بعيدا عن الطرق الرئيسية المرصوفة، ولم يكن لدى «الشاذلي» قوات تكفي لمهمته الخطرة حتى حدث ما حدث يوم ٥ يونيو عام ١٩٦٧م.

مفاجآت ٥ يونيو الأليمة.

في صباح ٥ يونيو وفي السادسة صباحا حملت «الشاذلي» طائرة هليكوبتر من موقعه في سيناء إلى مطار فايد حيث التقى بقيادة المحور الشمالي والجنوبي والأوسط في سيناء وبعض القادة الميدانيين المعاونيين

ليلتقوا بالمشير عامر ليطلعهم على تفاصيل خطة الهجوم على إسرائيل ، وبينما كان القادة فى انتظار وصول المشير سمعوا دوى انفجار هائل وبعده بلحظات قليلة كان انفجار آخر فإذا بمطار فايد - المجتمعين فيه - قد تم ضربه ، فاعتقدوا أن مطار فايد وحده هو الذى تم ضربه ، وعرفوا أن الحرب قد بدأت فى الوقت الذى كان فيه المشير عامر لازال يحلق بطائرتة فى الهواء ولم يصل إليهم بعد ولا يوجد أى قائد من قادة الجيش فى موقعه بين قواته.

ويروى «الشاذلى» عن حال جيشنا فى سيناء بدون قادته فى ذلك اليوم العصيب :

بعد ضرب المطارات أصبح الجيش فى سيناء بدون قيادة، كأنه جسد بلا رأس، والحمد لله أن العدو لم يتسرب إليه خبر اجتماع القادة فى مطار فايد، فلو علم العدو لأصابهم جميعا بضربة واحدة فيصاب جيشنا كله بالشلل التام ولأربكت المفاجأة الجميع، ولم يكن أمام القادة من خيارات إلا العودة فورا إلى قواعدهم وجنودهم فى سيناء بالميارات، ليقطع «الشاذلى» قرابة ١٢ ساعة بالسيارة فى صحراء سيناء حتى وصل إلى موقعه فى المحور الجنوبى المواجه للعدو قبيل المغرب، ١٢ ساعة مدة طويلة أن تقضيها قواتنا فى سيناء بلا قيادة، مكشوفة للعدو فى الصحراء بلا غطاء جوى والعدو يمرح فى سمائنا فوقهم بطائراته ولا يجد أى قوة تتصدى له حتى وجد «الشاذلى» قواته (مجموعة الشاذلى) فى

حالة استنفار يترقبون وصوله بفارغ الصبر بعد أن أغارت عليهم القوات الإسرائيلية في أكثر من محاولة، ووقتها لم يكن لدى «الشاذلي» أية خطة هجومية يتبعها بعدما انفض لقاؤهم بالمشير من قبل أن يبدأ، وكذا لم تحدث مناقشة لأي خطط هجومية، وزاد من الأمر صعوبة على «الشاذلي» انقطاع اتصاله بالقيادات العليا في سيناء ولم يكن يدري ماذا يدور في الأجواء من حوله.

لحظات عصيبة اعتصر قواتنا فيها القلق بعدما فقدت الغطاء الجوي الذي من المفترض أن يحميها من العدو، وفقدت الاتصال بالقيادات العليا، فلم يكن أمام «الشاذلي» من حيلة يهتدى بها ليعرف ما يدور من حوله إلا الاستماع إلى الإذاعة المصرية ليتبين الموقف، فإذا بكل بياناتها تبشر بالنصر برغم الحالة المزرية التي يعيشها «الشاذلي» وقواته، فأدار المؤشر لإذاعة العدو ووجدها تعلن عن بدء الزحف داخل الأراضي المصرية، واستمع «الشاذلي» في ذهول إلى نداءات العدو لسكان المناطق المصرية التي اقتحموها في سيناء تطلب منهم رفع رايات الاستسلام، فازداد «الشاذلي» قلقا عندما اتضحت له حقيقة الكارثة التي تمر بها مصر وخاصة أنه كان في عزلة تامة عن باقي القيادات، وبحكم موقعه كان «الشاذلي» هو الأقرب لأرض العدو منها إلى طريق العودة، وكانت مجموعة الشاذلي بلا طيران يحميها وبدون أسلحة مضادة للطائرات تتصدى بها للعدو، وكان عدوه في هذه اللحظات الرهيبة هو

الطيران الإسرائيلي، حاول «الشاذلي» أن يحتفظ بهدوئه حتى يتسنى له تدبير الأمر ليتمكن من حماية مجموعته من الطيران الإسرائيلي فلم يجد أقرب إليه من منطقة جبلية داخل حدود فلسطين أرض العدو الإسرائيلي، وفي قرار جرى قرر «الشاذلي» أن يتحرك شرقاً إليها ليحتمي بجبالها من العدو في عقر داره في فلسطين.

فبدأ التحرك بقواته ليلاً ليحميه ظلام الليل من طائرات العدو، حتى استقر بمنطقة تقع بالقرب من بئر للماء ليعسكر بقواته هناك في بطن جبلين فيصعب فيها على الطيران الإسرائيلي أن يراه، وحتى لو حدث ورآه العدو سيمصعب عليه أن يبال منه، لأن سرعة طائرة العدو لن تتمكن من التوقف لضرب مجموعة «الشاذلي» فلن تصل ضرباتها إليها وهي مختبئة بين جبلين، واشتهر «الشاذلي» في الأوساط العسكرية بجرأته وبطولته في حماية قواته من طائرات العدو في حرب يونيو ١٩٦٧م.

قضت مجموعة «الشاذلي» ليلة عصبية في حضان الجبل في أرض العدو تحذره وتترقب انتقامه! واللواء «الشاذلي» مع ضباطه وجنوده يتابعون إذاعة العدو وأخبار انتصاراتهم التي كان لها وقع مؤلم عليهم، في الوقت الذي كانت فيه الإذاعة المصرية وسيلة المعرفة الوحيدة تعلن أنباء بعيدة تماماً عن الحقيقة.

وكان يوم ٧ يونيو يوماً رهيباً بتحدياته لمجموعة «الشاذلي» عندما كشف الطيران الإسرائيلي مكانه وحاول ضرب قواته أكثر من مرة ليُعلم «الشاذلي» أن قواته مرصودة من العدو الإسرائيلي، لكن «الشاذلي» كان

مطمئنا بعجز العدو عن النيل منه ومن قواته حتى لو كان يراه ويرصد مكانه، وفي نفس اليوم ٧ يونيه عصرا تلقى «الشاذلى» أوامر من القيادة العليا فى القاهرة بأن قواتنا فى سيناء قد انسحبت جميعها! ولم يتبق إلا مجموعة «الشاذلى» المختبئة فى فلسطين وأمرته بالانسحاب فورا.

الشاذلى. يواجه أهوال الانسحاب فى الظلام

كانت ليلة ٨ يونيه من أصعب ليالى حرب ١٩٦٧م التى بدأ فيها «الشاذلى» الانسحاب بقواته ليلا ليقطع معظم المسافة فى الظلام، تحرك بمجموعته فى حذر شديد متجنبين الطرق الرئيسية، لأن قواته كانت بلا غطاء جوى ومكشوفة تماما للعدو، والموت يتربص بهم فى كل خطوة وقابل «الشاذلى» بفرقتة طوال الطريق أهوالا عظيمة قال عنها «الشاذلى»: «كانت بجنودنا الجرحى إصابات بالغة على جانبي الطريق تصارع الموت فيحملهم معه ودباباتنا المحترقة بنيران العدو، وعربات الذخيرة كانت لا تزال مشتعلة والشظايا تتناثر منها حولهم فى كل الاتجاهات، وعربات وأسلحة ومعدات قضت عليها نيران العدو تماما حتى إن دخان احتراقها المتصاعد فى الهواء من حولهم كان يركم الأنوف».

كل ذلك كان يثير الحسرة والألم فى نفس «الشاذلى» وهو يرى جثث جنودنا وضباطنا التى فتك بهم عدو شرس فحولها إلى أشلاء على أرض سيناء، والطيران الإسرائيلى يحوم فوق رؤوسهم والموت يلوح لهم فى كل شبر فى الظلام، حتى ظهر أول ضوء ليزوغ الفجر فكشفهم للعدو،

وما كان أمامهم ليصلوا إلى شرق الإسماعيلية إلا ٩٠ كم وهنا بدأ طيران العدو يهاجمهم بشراسة، فالعدو كان يراهم فى وضح النهار وينتقى ما يدمره من معداتهم فكان يضرب الطرق حول قوات «الشاذلى» ليشل حركتها ويكبدهم خسائر هائلة وطال بهم الطريق والشعور بمرارة الهزيمة والانسحاب من سيناء يعتصر قلوبهم وهم يتركون جزءا من أرض الوطن الغالى فى قبضة العدو ليرتع فيها كيف يشاء ليخرجوا منها مهزومين على أرضهم.

بهذه المشاعر الأليمة كان «الشاذلى» يقطع طول الطريق ونيران العدو فوق رؤوسهم بما تبقى معه من جنود ومعدات بعد فقد الهائل للمعدات والقوات طوال طريق الانسحاب حتى وصل إلى المعابر عند قناة السويس بعدما فقد الكثير من معداته، وكانت (مجموعة الشاذلى) حتى آخر وحدة عادت إلى أرض الوطن وأمارات الألم ومرارة الهزيمة ترتسم على وجوههم، وكان فى انتظارهم ضباط سلاح المهندسين عند البر الغربى ينتظرون عبورهم ليقوموا بنسف المعابر قبل أن يلحق بهم العدو، وكانت مجموعة «الشاذلى» هى آخر مجموعة عادت بدروس كثيرة عن الحروب وأهوال الهزيمة فى ١٩٦٧م ودفع الجيش ومعه الشعب ثمنا باهظا للقرارات الخاطئة حول الحرب لقياداتنا فى ذلك الوقت.

وبعودة مجموعة «الشاذلى» أسدل الستار على آخر معارك نكسة يونيه ١٩٦٧م، فماذا كانت المهمة التى تنتظر «الشاذلى» فيما بعد؟